المحاضرة التّاسعة:

أدب الطّفل، والخيال العلمي.

I. مفهوم الخيال.

II. الخيال المعرفي، والخيال العلمي.

III. القصّة العلمية، وقصص الخيال العلمي.

IV. شروط الخيال في أدب الطّفل.

V. أهمية الخيال العلمي للأطفال.

إن الحديث عن الخيال العلمي في أدب الطّفل يعني العمل على تقديم نصوص أدبية مستوحاة من تصوّرات علمية مستقبلية، لم تحدث بعد، وقد لا تحدث أبدا، مصوغة صياغة أدبية، فنية، تتلاءم من الناحية الإدراكية، والأسلوبية مع الفئة الموجّهة إليها؛ وتجمع بين أبعاد مختلفة؛ أهمها: البعد التّربوي، والبعد التّعليميّ، والبعد الأدبي، دون إغفال البعد الأهم، وهو بعد الإمتاع والتّسلية.

وإذا كان أدب الأطفال قد حصر نفسه، طويلا، في إطار شكليّ ومضمونيّ يحاكي ثقافة المجتمعات التي أنتج بين ظهرانيها، فاعتمد في توظيفه لجانب الخيال على تفسيرات بسيطة، وأحيانا ساذجة-تعكس عجز الإنسان على كنه الظواهر المحيطة به-تقوم على الخرافات، والخوارق، فإنّ أدب الطّفل المعاصر آخذ في الاغتراف من مظاهر حضارية، تجنح نحو العلوم المادية، التّجريبية، الصّحيحة؛ ممّا جعل الخيال العلمي سندا مهما في تقديم مادة أدبية مشوّقة للطفل المعاصر.

I. مفهوم الخيال.

الخيال لغة هو الظّنّ، والتوهّم، والتّصوّر، ولكن القول بضرورة تطعيم أدب الطّفل بجانب الخيال، لا يعني، فقط، أن نبني عالما أسطوريا خياليا، بعيدا عن الواقع؛ بل قد يكون عالما حقيقيا منسوجا بالخيال، الذي يعتبر مكوّنا أساسيّا للإبداع، وله دور بارز في التّقدّم، والتّطوّر، الذي تنشده المجتمعات؛ باعتباره رياضة ذهنية فطرية، نستطيع من خلالها التّكيّف مع العالم من حولنا. ويعرف الخيال في اللّغة بأنّه: "**إحدى قوى العقل التي يتخيّل بها الأشياء، بمعنى أنّ الخيال، نشاطٌ عقليّ يمكن به تصوّر أشياء غير موجودة، وقد تكون هذه الأشياء قد حدثت في الماضي-كدراسة الأحداث التّاريخية-أو يمكن أن تكون عليه في المستقبل**"[1].

[1] سمير عبد الوهاب أحمد، **أدب الأطفال، قراءات نظرية، ونماذج تطبيقية**، ص: 302.

وأما الخيال(imagination)، من وجهة نظر نفسية، فهو: "**نشاط نفسيّ تحدث خلاله عمليات تركيب، ودمج بين مكوّنات الذّاكرة، وبين الصّور العقلية التي تشكّلت من قبل، من خلال الخبرات الماضية، وتكوين نواتج ذلك كلّه في تكوينات، وأشكال عقلية جديدة**"[1].

II. الخيال المعرفي، والخيال العلمي.

يبدو أن مفهوم الخيال المعرفي أوسع شمولية من مفهوم الخيال العلمي، فهو يزيد عليه بأن يوظف جميع أشكال المعرفة لصالح تنمية الطاقة التّفكيرية عند الطّفل، فيستدعي ما هو أدبي (الخيال الأدبي)، ويستنطق ما هو علمي (الخيال العلمي)، فالخيال الأدبي، كعبارة: (ابتسمت الوردة حين رأت النّحلة ترفرف عليها)، والخيال العلمي، مثل: (اكتشف سامر وهو يجري العمليات الكيماويّة في المختبر، أنّ الورد الأبيض أسرع في التّقطر من الورد الملوّن، وأنّ رائحته أقل انتشاراً).

في حين أن الخيال المعرفي يذهب مع الخياليين السّابقين إلى طرح سؤال ذكيّ عند الطفل وهو: لماذا يحبّ الناس الورد، فيتهادونه في مناسبات الفرح والعزاء معاً؟

وبهذا يتم استنطاق القيمة العلمية، والأدبية، والاجتماعية، للوردة عن طريق توسيع أفق الاكتشاف، والتأويل المستند إلى الخيال الشجاع[2].

III. القصّة العلمية، وقصص الخيال العلمي.

[1] المرجع السّابق، الصفحة نفسها.

[2] راشد علي عيسى، **الخيال العلمي في أدب الأطفال**، مجلة أفكار، تصدر عن وزارة الثّقافة بالمملكة الأردنية، الهاشمية، ع:343، آب، 2017، ص:39.

يفرّق البعض بين القصص العلمي، وقصص الخيال العلمي، "**على أساس أنّ النّوع الأوّل وصفي (يتتبّع أبحاث العلماء)، وجهود المخترعين، والمبتكرين، وقصص مخترعاتهم ومبتكراتهم، وما لاقته هذه المخترعات من رفض، أو قبول، وما كان لها من تأثير في حياة النّاس...**"[1]، في حين أنّ قصص الخيال العلمي تبنى على الخيال المدعّم بنظريات علمية سادت في عصر ما. وعليه فإنّ "القصة العلمية" تتّخذ من الموضوعات العلمية مادة لها، سواء كانت في الطّبّ، أم في الفيزياء، أم في الكيمياء أم الهندسة، أم الفلك، أم غيرها... " **وقد تتّخذ القصّة العلــميّة موضوعها من اختراع، أو اكتشاف، وبهذا سيزدوج الخط الصاعد فيها، مازجا بين موضوع الاختراع أو الاكتشاف نفسه، من حيث أصوله العلمية، وصلته بمخترعات سبقته، ثمّ ما أضافه هذا الاختراع وأهميته للحياة، وبين كفاح العالم لتحقيق هذا الاختراع الذي بدأ في فكره مجرد احتمال، أو ثمرة ملاحظة عابرة.**"[2] ولا شكّ في أنّ هذا النّوع من الكتابة يحتاج بالإضافة إلى موهبةِ الكتابةِ الأدبيةِ الفنيةِ، المعرفةَ العلميةَ الواسعةَ، التي تمكّن الأديب من نقل الحقائق العلمية إلى الطّفل غير مشوّهة، أو مغلوطة، وبأسلوب فنّيّ جذّاب.

وأمّا قصص الخيال العلمي، "science-fiction"، فهي فرع من فروع القصص العلمي، وهو مصطلح ابتدعه هوغو جونزيتش سنة 1926م في مجلة القصص المذهلة[3]، وتعرف بأنّها: "**ضرب من القصص يوظّــف فيه الأدب منجــزات العلم، أو يستشرف ما يمكــن أن**

---

[1] سعد أبو الرضا، **النص الأدبي للأطفال–أهدافه ومصادره وسماته–**، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط:1، 1993م. ص:139.

[2] محمد حسن عبد الله، **قصص الأطفال –أصولها الفنية وروادها** –، العربي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ط، د ت، ص ص.29، 30.

[3] سمر روحي الفيصل، **أدب الأطفال وثقافتهم –قراءة نقدية –**، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، د ط، 1998م، ص:45.
ويشير سعد أبو الرضا في كتابه: **النص الأدبي للأطفال–أهدافه ومصادره وسماته–**، ص:140. أنّ قصص الخيال العلمي شكل قصصي وُجد "...**منذ القرن الثّاني للميلاد، تقريبا سنة 150م، عندما كتب لوسيان اليوناني، قصّته (تاريخ حقيقي) ...ولكن تسميته قصص الخيال العلمي وليدة العصر الحديث.**"

يأتي به المستقبل من تكنولوجيـــا."[1] ويقترح الباحث سمير عبد الوهاب تعريفا لقصص الخيال العلمي، فيقول: " **قصص الخيال العلمي تعني القصص والروايات المكتوبة للأطفال أو الفتيان أو الكبار. وهي تتنبّأ بأحداث أو مواقف أو مجتمعات علمية محتملة في الحاضر أو المستقبل، في الأرض براً وبحراً وجوّاً، وفي الفضاء الخارجي، انطلاقاً من حقائق أو فرضيّات علمية معروفة في الحاضر."**[2] ومن الواضح (إجمالا) أنّ قصص الخيال العلمي، هي تلك القصص التي تستند إلى حقائق علمية قد تكون مثبتة، وقد لا تكون كذلك، ولكنّها قد تتحقق في المستقبل، فهذه القصص في الحقيقة تتجاوز الواقع إلى ما هو خيالي، وافتراضي، فهي في الأصل تنطلق من شيء موجود لتبتدع منه شيئا آخر غير موجود، ولكنّه محتمل الوقوع وهذا كلّه بفضل ملكة الخيال.

وترتبط قصّة الخيال العلمي في معظم الأحيان بالأماكن غير التقليدية وتتخذ منها بيئة لها، كالبحار والمحيطات، والكواكب البعيدة، والفضاء الخارجي، وباطن الأرض، وحتى دواخل الكائنات الحية، وهي تهدف بذلك إلى تقديم معارف علمية للطّفل، وكذا إثارة مخيّلته نحو البحث العلمي.

وقد تشترك قصص الخيال العلمي مع (الخرافة)، في جهة الاستعانة بالخيال والتّوهّم؛ "**إذ إن هذه القصص توهم بأنها خرافية أوّل الأمر، ولكن منطقها العلمي المتماسك يقود القارئ إلى نتائج يقبلها العقل وإن لم يكن لها مثيل في الواقع، أي أنه يدخلها ساحة الفكر العلمي ويبعدها عن ساحة الفكر الخرافي مستنداً في ذلك إلى المخزون العلمي للقاص."**[3]

وبناء على ما سبق فإنّه يبدو واضحا أنّ هناك فرقا بين الخرافة، من جهة، وبين القصة العلمية، وقصة الخيال العلمي، من جهة أخرى. فالأولى لا تستند إلى العلم بتاتا، وأمّا الثّانية،

---

[1] سعد أبو الرضا، **النص الأدبي للأطفال–أهدافه ومصادره وسماته–**، ص:138.

[2] سمير عبد الوهاب أحمد، **أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية**، ص ص: 46، 47.

[3] المرجع نفسه، ص: 53.

فتتناول حدثا علميا ثبتت صحّته؛ وأمّا الثّالثة، فإنّها تستند إلى فرضيات علمية، لتنتقل منها إلى حوادث، ومجتمعات علمية جديدة ممكنة الوقوع.[1]

يمكن الإشارة في ختام هذا المبحث أنّ من أبرز ما يمكن نسبته إلى قصص الخيال العلمي للأطفال في أدبنا العربي، أعمال أدبية منها: "**(رحلة إلى القمر) لأحمد نجيب، و(الأربعة الذين سرقوا القمر) لعبدالتّوّاب يوسف، و(الحصان الطيّار في بلاد الأسرار) من سلسلة المكتبة الخضراء للأطفال لأحمد نجيب أيضا، و(علاء وحده في العالم) لمصطفى رمزي، و(عبد الله البرّي، وعبد الله البحري)، و(أبو صير وأبو قير) لكامل كيلاني...**"[2]

IV. شروط الخيال في أدب الطّفل.

يلعب الخيال دوراً هامًّا في كل ما يتصل بأدب الأطفال؛ لأنّه يساعد الطّفل على خلق عوالم خاصة، يعيش فيها، ويضفي على عناصرها من الصّفات الأسطورية السّاحرة، والشّيقة، ما يشفي توقه للبطولة، والاكتشاف، والانعتاق من ربقة الواقع، وذلك في ضوء ما تسمح به خصائص الطّفل في مراحل نموه المختلفة حتى لا ينحرف مضمون الأدب المقدم له إلى مسارات جانبية قد يجانبها التّوفيق.

وقد حدّد المهتمون بأدب الطّفل ضوابط لجانب الخيال في أدب الطّفل، عموما، وللخيال العلمي، خصوصا، منها:

1-"الخيال في أدب الأطفال ضروري، وله دوره الحيوي.

2-يجب أن ننقِّي كتبَ الأطفال من الخيالات المخيفة المفزعة.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص ص:50، 51، 53.

[2] سعد أبو الرضا، **النص الأدبي للأطفال-أهدافه ومصادره وسماته-**، ص:141.

3-يجب ألا يؤدي المزجُ بين الخيال والحقيقة في قصص الأطفال إلى حدوث نوعٍ من البلبلة، أو اضطراب المفاهيم، أو اختلاط الحقيقة بالخيال.

4-الخيال العلمي الذي يستند إلى العلم وحقائقه مقبولٌ، ولكن "العلم" الخيالي الذي يستند إلى الأوهام غيرُ مقبول، لأنه ليس "علماً" على الإطلاق.

5-الفيصل عندما يثور خلافٌ في هذا المجال هو (الانطباع) الذي سيخرج به الطفل من هذا العمل الأدبي الذي ثار حولَه الخلاف"[1].

ومعلوم أنّ الفروق الفردية بين الأطفال (الذكاء، البيئة، الممارسة، المرحلة العمرية التي يحياها الطّفل...الخ) تلعب دورا بارزا في استيعاب المتن الأدبي المقدّم لهم، وفي تلقي الخيال الذي يتضمّنه ذلك العمل الأدبي، وعليه، فإنّ الفيصل في الحكم للمادة المقدمة للطفل، ولجانب الخيال فيها، أو عليهما، يكون بتتبّع أثرهما على الطّفل ونفسيته، فإذا "... **خرج الطفل بانطباع سيئ أو ضار أو بمفهومٍ خاطئ فإنَّ هذا العمل يصبح غير مناسب للأطفال. أمَّا إذا خرج الطفل بانطباعٍ سليم، أو على الأقل بانطباعٍ لا يحمل في طياته ضرراً ما، فإن الإنتاج الأدبي يكون مناسباً للأطفال إذا استوفى بقية شروط أدب الأطفال**"[2]. ويقرّ المهتمون بأدب الطّفل أنّ هذا المعيار هو نفسه المحتَكَمُ إليه في أمر القصص البوليسية، المقدمة للطفل؛ فالفيصل – كما يُعتقد-يكمن في نوعية الانطباعات التي ستستقر في نفس الطّفل في المدى القريب، نتيجة قراءة قصّة معيّنة محدّدة (انطباع خاص)، وعلى المدى البعيد نتيجة قراءة أعدادٍ كثيرة متواصلة من هذه القصص (انطباع عام).[3]

V. أهمية الخيال العلمي للأطفال.

[1] أحمد نجيب، **المضمون في كتب الأطفال**، دار الفكر العربي، مصر، د ط، د ت، ص ص: 75

[2] المرجع نفسه، ص ص: 75

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص:76.

الخيال حاجة ضرورية للأطفال؛ لأنه ينقلهم من الواقع الذي يعيشون فيه، والمحيط الذي ينتمون إليه، ويجعلهم يتصورون واقعاً آخر أكثر ملاءمة لهم، وأشد قرباً من أحلامهم وتطلعاتهم. وقصص الأطفال الخيالية تساعد الأطفال على تنمية قدراتهم العقلية، وتدربهم على حل المشكلات عن طريق استخدام العقل والفكر.

ما من شك، إذا، في أنّ الخيـال عنصر مهّـم في أدب الطفولة ليس من الناحية الفنية فحسب، بل من الناحية النفسية أيضا للطفل، حيث إنّه:" **يلعب دورا هاما في تحقيـق التوازن النفسـي للطفل، وفي تجديد نشاطه العقلي، وفي تنمـية مهاراته العلمية والفنية، وفي إعادة تشكـيل الحياة حسب رؤيـته، لذا بات من الضـروري أن يوليـه الكتّـاب العناية التـي يستحـقها تحقيـقا للفوائد المذكورة** "[1]، وهو ما يعني ضرورة الاهتمام بعنصر الخيال، والمقصود هنا طبعا الخيال البنّاء الذي يدفع بالطفل إلى إعمال عقله، ويجعله أكثر قدرة على التفكير السليم والإيجابي.

كما يهدف الخيال العلمي في المادة الموجّهة للطّفل، إلى تحفيز المخيّلة على الاكتشاف، والتوقّع، والمقارنة، والتّمييز، والتّصنيف، والتّحليل، والاستنتاج، وزيادة الخبرات، وكل ذلك مهارات من عمليات ذهنية مركّبة يقوم بها الطّفل أثناء استيعابه للنّص بشكل يلعب فيه الخيال دوراً رئيساً في التّجريب، والافتراض للوصول إلى نتائج علمية. وفي أثناء ذلك الهدف التّعليمي، تتضاءل قيمة اللغة الأدبية انتصاراً للحقائق العلمية، وتحقيقا للمتعة، والفائدة الذهنيّة، بالدرجة الأولى؛ وصولاً إلى مهارة التفكير العلمي. فالخيال العلمي يقصد الحقائق الجديدة، وتدريب الطفل على الوصول إليها.[2]

ويمكن الحديث، هنا، عن وظائف أخرى للخيال العلمي في قصص الأطفال، منها:

---

[1] ينظر: قاسم بن مهني: **أدب الطفل والترغيب في مطالعته**، دار العلماء، تونس، ط:1، 2010 م، ص: 22.

[2] راشد علي عيسى، **الخيال العلمي في أدب الأطفال**، مجلة أفكار، ع:343، آب، 2017، ص:40.

أ–التثقيف العلمي:

في ظلّ انخفاض المستوى العلمي للقارئ العربي، وللمجتمع على حدّ سواء؛ فإنّه يتحتّم على كتاب الأطفال الإسهام في نشر الثّقافة العلمية بالاستناد على قصص الخيال العلمي، التي توظّف معارف الحاضر العلمية بغية الانطلاق منها إلى عالم المستقبل العلمي. "... **ولا يستطيع الباحث المغامرة بالقول إن التثقيف العلمي وظيفة جليلة إذا لم يكن يعلم علم اليقين أن المعرفة العلمية المستخدمة في القصص واضحة للقارئ المتلقّي، وإلا فإن بدايات قصص الخيال العلمي في الوطن العربي ستُرسخ نوعاً من الانفصال بين القارئ والنصوص، وستزيد الوهم السائد حول الجفاء بين الأدب والعلم.**"[1]

ب–التذوق العلمي:

يدور التثقيف العلمي حول إنجازات الحاضر العلمية، وأمّا التذوق العلمي فمجاله ما بناه الخيال من إنجازات علمية في المستقبل "...**والمراد بالتذوق العلمي هنا تدريب القارئ على تذوق لذّة الكشف العلمي، وجعل إحساساته العلمية مرهفة قادرة على تلمس الأساليب القادرة على قيادة إنجازات الحاضر العلمية إلى كشوف واختراعات يحتَمل حدوثُها في المستقبل العلمي للبشرية.**"[2]

والتذوق العلمي عمل خاص بالأحاسيس، والعقل معا، لأنّه يبدأ وجدانياً وينتهي عقلياً، وتتجلّى وظيفته، بالإضافة إلى توفير اللّذة العلمية، في أمرين أساسيين في الحياة العلمية للقارئ: أولهما تنمية الحدس العلمي للقارئ، وثانيهما تنمية القياس العلمي لديه.[3]

---

[1] سمير عبد الوهاب أحمد، **أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية**، ص:65، 66.

[2] المرجع نفسه، ص: 66.

[3] جاء في المرجع نفسه، ص: 66، أنّ الحدس العلمي هو: "...**القدرة على الربط بين إنجازات الحاضر العلمية وما يمكن أن تؤول إليه. وأما القياس فهو مهارة تجسيد الحدس، لأن كل قياس يقتضي إعمال الفكر أولاً بغية اكتشاف قوانين الطبيعة، والقياس عليها ثانياً بغية الخروج بأشياء علمية جديدة**".

ت–تحرير الخيال وتحريضه:

تسهم قصص الخيال العلمي في تحرير الخيال ليحلّق بعيدا عن الواقع، وتفتح له كوى يحلِّق بوساطتها في عالم المستقبل، كما تسهم إسهاماً كبيراً في تحريض الإرادة البشرية على ارتياد المجهول، والسّعي إلى تجسيد ما توحي به القصص المقروءة، أو المساعدة على تلمس الحلول للمشكلات العلمية المختلفة، أو تحفيز العقل على السير في طرق جديدة، والتفكير في مستقبل البشرية، أو وضع الفرضيات العلمية، وتعديل مسالك التأمل والملاحظة، وتخليص القارئ من التبعة للأفكار السائدة، وما إلى ذلك.[1]

ث–تحديد الهوية:

تُسهم قصص الخيال العلمي إسهاماً غير مباشر في الإجابة عن سؤال الهوية: من أنا؟ [2] ذلك أن قصص الخيال العلمي تُبصّر الإنسان بمكانته ضمن هذا العالم الحاضر، والمحتملة في المستقبل، ليخطّ لنفسه طريقا في ضوء معطيات الزمنيين المشاهد، والغائب، تضمن له الحياة التي يرتضيها.

[1] المرجع السّابق، ص: 66، 67.

[2] المرجع نفسه، ص:67.